مجلة الدراسات الأثرية
مجلد:16 /عدد:2018/01
ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

البنية التنظيمية للطوائف الحرفية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

الطالبة/ خولة نواري أ.دة /خيرة بن بلة
معهد الأثار _جامعة الجزائر02_

الملخص

تتكون الطوائف الحرفية من مجموعات أو من فئات تنشط في مجال حرفي وصناعي واحد، وفي سوق واحدة تحمل اِسمها عادة، ونجد داخل كل طائفة تنظيم محكم يبدأ في قاعدته بالمتعلم أو الصبي، لينتهي في القمة بمنصب الأمين يتوسطهما المعلم والعاملين. والطائفة الحرفية تتكون في هيكلها العام من أمين الأمناء، الأمين، الخوجة والصايجي، أما الأمين فيندرج تحته ثلاثة أشخاص وهم الكاهية والرفقاء الخاصين بطائفة البنائين، ثم الشاوش، تشمل مدينة قسنطينة، ما يفوق(70) طائفة حرفية مقسمة إلى صنفين اثنين، منها رئيسية كالنجارين والحدادين، والشقماقجية، وأخرى ثانوية كالبياضين، والزواقين، والكواشين.

الكلمات المفتاحية

الطوائف الحرفية، التنظيم الحرفي، قسنطينة.

résumé

Les corporation des métiers sont constitués de groupes actifs dans un secteur artisanal et industriel, et dans chaque dénomination ou groupe de hiérarchie organisationnelle commençant par l'apprenant, le garçon, l'enseignant et les travailleurs. Les corporations des métiers se compose des chikh baled, amine, du Khoja et du Saiji.

Le ville de Constantine contient plus de (70) sectes littérales divisées en deux catégories, principalement comme nadjarine, hadadine, chakmagiques et des artistes secondaires comme, bayadine, zawakin, kawachine,

Mots clés

Les corporations des métiers, Organisation artisanale, Constantine.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

مقدمة

نتج عن كثرة وتكتل أصحاب الحرفة الواحدة في مكان واحد نشوء تنظيم حرفي، يتعلق بالحرفيين والصناع ومجال عملهم، ظهرت الطوائف الحرفية في المدن الإسلامية أول الأمر خلال القرن(3 هـ-9م)،

[1] وهي استمرارا لما كان عليه التنظيم الحرفي في الحضارة البيزنطية والساسانية لمدن المشرق، مع إضفاء بعض من تعاليم الدين الإسلامي.

لعبت الطوائف الحرفية دورا رقابيا وعنصرا هاما في حياة الحرفيين والصناع، كونها تشرف على طبقة هامة من مجتمع المدينة، يترأسها المحتسب الذي يعين من قبل السلطة الحاكمة، وبدوره يقوم بتعين رؤساء الطوائف الحرفية، علاوة على ذلك تهدف هذه الطوائف إلى تيسير السيطرة على النظام الاقتصادي في المدينة، والنظر في أمور الحرفيين والصناع والاشراف عليهم، فهي بذلك تشكل حلقة وصل بين الناس والسلطة الحاكمة.

وبناءً على ما سبق يمكن تحديد هدف هذا البحث في إحصاء عدد الطوائف الحرفية وكذا دراسة نظامها وهيكلها الداخلي ومدى مساهمتها في الحياة العامة للحرفيين والصناع وعلاقتهم بالسلطة، وذلك بالإجابة على التساؤلات التالية:

ما المقصود بالتنظيم الحرفي؟ فيما تجلى الهيكل الداخلي للطوائف الحرفية؟ هل كان لهذا التنظيم أبعاد سياسة اجتماعية؟

1- تعريف الطوائف الحرفية:

ضمت الطوائف الحرفية مجموعات وفئات تنشط في المجال الحرفي والصناعي، ظهرت بعدة تسميات منها أرباب الصنعة، الطوائف الاسلامية، الأصناف، أصحاب المهن، أهل الصنائع، هذا في المدن العربية بينما يقابلها تعبير الطوائف الحرفية أو مصطلح الجماعة في مدينة الجزائر، رغم هذا التباين والاختلاف في التسميات إلا أنها تخضع لنظام واحد.

وإذا أردنا تعريف الطوائف الحرفية نقول أنها مجموعة من الأشخاص أو الأصناف،[2] تظم أصحاب المهنة الواحدة في سوق واحدة تحمل اِسمها وتمارس نشاطا حرفيا واحداً، لها نظام

[1] عبد العزيز الدوري، « نشوء الأصناف والحرف في الاسلام»، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد01، 1959، ص133.

[2] نفسه، ص133.

وأسس وقواعد تسير عليها[3]، ضف لذلك أن لكل طائفة حرفية عادات وتقاليد ونظام خاص بها حسب طبيعة النشاط الممارس، يخضع لها أصحابها والمنتظمون في سلكها، والمقصود هنا أصحاب الحرف وأهل الصنائع، يترأس هذه الطائفة أمين يكون مشرفا على أرباب كل صنعة من الصنائع يتولى أمورهم وإنشغالاتهم وفك نزاعاتهم، يسعى أيضا لتنظيم العلاقة فيما بينهم وبين السلطة وكل مايتعلق بمجال صنعتهم.

2- الطوائف الحرفية في مدينة قسنطينة:

شُكلت هذه المجموعات الحرفية في مدينة قسنطينة من صنفين اثنين، منها رئيسية كالنجارين الحدادين والصفارين، والشقماقجية، والسرارين، والفخارين، والجلابين، والحاكة وأخرى ثانوية كالبنائين والبياضين، والزواقين، والكواشين، والجزارين، والصوابنية والدخاخين، والقهواجية، والدلالين، والكنافين والحفافين، والصياغين، والغرابيلية.

يضم مخطوط دفتر الأحباس الخاص بمدينة قسنطينة المؤرخ بسنة (669هـ-1271م/1057هـ-1647م)، أسماءً لبعض الأسواق المتخصصة التي هي مركز ومكان نشاط الطوائف الحرفية التي تحمل إسمها عادة، وبالتالي استطعنا استخلاص 33 طائفة حرفية من هذه الأسواق، ويذكر شارل فيرو أن عدد الطوائف بلغ[4]38 - ذكر بعضها في مخطوط دفتر الأحباس- وفي بداية الاحتلال الفرنسي، وبالضبط سنة 1837 انخفض العدد ليصل إلى 20[5] طائفة حرفية، وفيما يلي مجموع الطوائف الحرفية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني استناداً على المصادر السابقة:

-النجارون:

النجار وحرفته نجر الخشب ونحته وحرفته النجارة، وهي من أقدم الحرف، فنوح عليه السلام كان يمارسها، تقوم هذه الحرفة على تفصيل الخشب إلى قطع وألواح ليعاد تركيبها بشكل منتظم لإعطاء الشكل والصورة المطلوبة، وحرفة النجارة تتفرع إلى عدة تخصصات كالنقاش والحفار والدهان والخراط .

[3] محمد غنيم محمد عطية الصياد، الطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية، 358هـ -968م /567 هـ - 1171 م ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة الزقازيق، 2006، ص31.

[4] Feraud.(SH), «Les Corporations de métiers à Constantine avant la conquête française traduction d' un manuscrit Arabe», Revue Africaine, N16, 1872. p451.

[5] Lecuyer(E), Les Métiers Constantinois à l'époque des Beys, 1950, pp 340.358.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

-الحدادون:

هم معالجيّ الحديد، وبائعيه، ومعالجة الحديد هي عمل صناعات من هذا المعدن كصناعة الأبواب، أدوات الطهي، وسائر الاستعمالات.

-الصفارون:

هم الذين يصبغون الأواني النحاسية ويقومون بنقشها وإصلاحها.

-القزادرية:

تختص بصبغ الأدوات القصديرية، والأواني والفوانيس وغيرها، تكون عادة من اختصاص اليهود.

-الشقماقجية:

صانعوا ومصلحوا الأسلحة، كالبنادق وسبك المدافع وتحضير البارود.

-السمارون:

هم من طائفة الحدادين يختصون بصناعة حذوات للخيول والبغال والحمير.

-السراجون[6]:

وهي تختص بالصناعات الجلدية كالحقائب وحاملات السلاح والبنادق.

-الطرازون:

عملهم متصل بطائفة السراجين حيث يطرزون السروج بزخارف قوامها الأرابيسك والزهور، تطبق الزخارف على الجلد الجاف ويقوم بالمحافظة على صلابته باستعمال لاصق من الورق المقوى أسفل الجلد إلى جانب ذلك يستعمل سلكا معدنيا لتشكيل الزخرفة وسلكا آخر من النوع العادي لتثبيت.

-البرادعيون:

تندرج ضمن الصناعات الجلدية، بحيث تقوم هذه الطائفة بصنع البردعة والحاملات التي توضع فوق البغال والحمير لنقل السلع.

-الخرازون:

صانعي الأحذية.

-البشماقية:

يقومون بصنع البشماق والبابوش الخاص بالرجال.

-الشبارليون:

[6]يعتبرها (فيرو Feraud) من أنبل الحرف في مدينة قسنطينة.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

صانعي أحذية النساء.

-الحواكة/الحاكة:

وهو النساج أي الذي ينسج الثياب، أي يظم بعضه إلى بعض، وصناعة الملابس الصوفية، وهو الحائك، والزَّرَّاد وصانع الدروع، تقوم هذه الطائفة كذلك على حياكة الزرابي والخيم والأغطية.

-الخياطون:

طائفة الخياطين تقوم على تقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد، تفصل أولا بالمقرض قطعا مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا وتثبيتا على حسب نوع الصناعة.

-القزازون:

تهتم طائفتهم بصنع الخيوط الحريرية وصنع القياطين.

-الحفافون:

وهم الذين يحسنون المِشاطَة ويتخذونها حرفة لهم.

-الخراطون:

تندرج هذه الحرفة ضمن الصناعات الخشبية، وتختص بصنع النوافذ والشرافات.

-الغرابليون:

هم صانعوا الغربال وهو الذي يصفى فيه الدقيق بعد رحيه، يقوم الغرابليون بغربلة ونخل القمح وتحضيره للاستعمال وصنع الكسكس وتعتمد هذه العملية أساسا على الغرابيل أو المناخل المصنوعة عادة من البردى أو الحرير أو الجلد أو أوراق النخيل.

-الدباغون:

الدّباغ هو الذي يدبغ الجلود، أي يلينه ويزيل ما به من رطوبة ونتن، ودباغة الجلد من الحرف الشائعة، التي تعنى بمعالجة الجلود للاستعمال فيما بعد، وحرفة الدباغة تتطلب مهارة وقدرة عالية في تنظيف وتسوية الجلد لإعداده للدبغ.

-الرقاقون:

هي الطائفة التي تقوم بخياطة الرق والأغشية المستعملة في الآلات الموسيقية كالدربوكة، البندير والدف.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

-البنائون:

هم مدبروا البناء وصانعوه، وهي خاصة بمن يحترف مهنة البناء سواء كان البناء بمادة الحجر أو الطوب أو أي مادة أخرى.

-البياضون:

تقتصر هذه الحرفة على السود -الزنوج- بحيث يقومون بتبييض جدران المنازل بالجير الأبيض.

-القلالون/ الفخارون:

القلالون يختصون بالصناعات الطينية والأواني الفخارية، كالجرار، وصناعة القرميد والآجر وتمارس هذه الحرفة من قبل القبايل.

-الكواشون:

والخبازون وهم صانعوا الخبز وبائعوه، وتقتصر هذه الحرفة على فئة القبايل.

-القصابون:

القصاب وحرفته القصابة، والقصاب مأخوذ من القطع، فقصب الشيء قطعه، وقيل من يأخذ الشاة بقصبتها، أي بساقها، وسميّ قصابا لتنقيته أقصاب البطن.

-الجزارون:

حرفة الجزار هي النحر والذبح، والجزار بائع لحم الذبائح.

-الصوابنية:

وهم صانعوا الصابون، وتقتصر كذلك على فئة القبايل والبرانية.

الدخاخنية بائعوا التبغ والشمة.

-القهواجية:

القهواجي الذي يقوم بتحضير وتقديم القهوة وهي حرفة مربحة مارسها الانكشاريون.

-الطباخون:

هم فئة تقوم بتحضير أطباق الطعام كطبخ اللحوم والخضر، وتقتصر هذه الحرفة على المزابيين.

-الفطايرية:

يقومون بتحضير الفطائر وبيعها للمارة، وتمارس من طرف التونسيين.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

-الحلواجية البلابجية:

الحلواجي يقوم بتحضير الحلويات مثل الحلوى المعسلة، وحلوى اللوز وغيرها، أما البلابي فيقوم ببيع الحمص المجفف، وتقتصر هذه الصنعة على التونسيين خاصة.

-الصياغين/الصاغة:

حرفة الصائغ والصياغ والصواغ، حرفته تختص بمعالجة الفضة والذهب ونحوهما ليعمل منها حلي وأواني، وللصاغة سوق خاصة بهم في المدن الإسلامية الكبرى.

-المقاوسيون:

تتفرع هذه الصنعة عن فئة الصياغين، وتختص بصناعة الخلاخل من قرون البقر والخواتم والأساور ومختلف أدوات الزينة، وكذلك الغليون المستعمل في التدخين.

-الزواقون:

عرفوا بالنقاشين، والنقاش المزين الذي يلون بلونين وأكثر، ليتسع المدلول فيما بعد ليطلق على الملون والمصور والمزخرف بالألوان، سواء على الورق أو القماش، وأطلق أيضا على مستعملي الرخام والحجر والجص والخشب والمعدن والفخار في أعمالهم.

-الدلالون:

مفردها الدلال، وهو الذي يجمع بين البيعين، والوسيط بين البائع والمشتري، ويبذل الدلال مجهودا في التوفيق بينهما، وسمي بهذه التسمية لأنه يقدم الأدلة على جودة السلعة ليرغم المشتري فيها.

-الكنافيون:

تقتصر على طائفة اليهود عادة، يقوم نشاطها على تنظيف قنوات الصرف الصحي والمراحيض.

-الفكاهون/الخضارون:

باعة الخضر والفواكه.

-الجلابون:

هم بائعوا ومشتروا المواشي أي تجار المواشي.

-الحجامون:

يقوم نشاط المحجم بعلاج وتطبيب المرضى بإخراج الدم الفاسد من الجسم عن طريق إحداث جروح سطحية.

-الختانون:

يقال صناعة الخاتن، تختين الغلام أو الصبي وقطع قفلته، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن.

-السرارون:

وهو فرع يختص بصناعة الأسلحة وهو صناعة الخشب أو نحت أجزاء الخشب الموجه لصناعة البنادق والمسدسات والسيوف.

-الصباغون:

يقومون بصبغ الجلود والأقمشة بألوان مختلفة.

-الحطابون:

وهم جامعوا الحطب وبائعوه.

-الفوالون:

بائعوا الفول.

-العطارون:

العطارُ صانع العطور والمواد التجميلية وبائعها، وحرفته العطارة، وهي من الحرف القديمة التي تجد لها رواجا بين الناس رجالا ونساء.

-الحلفائيون:

من يشتغلون بالحلفاء حيث يشكلون من نبات الحلفاء مختلف المصنوعات الخاصة بالاستعمال اليومي كالسلالة .

-القطانون:

هم تجار وبائعوا القطن.

-القصاعون:

تختص طائفة القصاعين بصناعة وبيع القصع التي توضع فيها الطعام تصنع عادة من الفخار أو الخشب.

-الملاخون:

مصلحوا الأحذية.

-الطبالون:

من مهام الطبالين قرع الطبول والتجول في أرجاء المدينة والأسواق أثناء المناسبات الدينية والأعراس.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

-الحمارون:

تختص هذه الطائفة بكراء الحمير من أجل النقل والتنقل في أرجاء المدينة.

-الحمالون:

يكمن نشاطهم في حمل وتفريغ السلع داخل الأسواق.

-السقائون:

هم حاملوا الماء تقتضي مهنتهم توزيع الماء على الناس في القرب.

-القرابون:

هم صانعوا القرب التي يوضع فيها الماء تصنع عادة من جلود الماعز.

-الحمامجية:

تشتغل هذه الطائفة داخل الحمامات من مهامهم التدليك والتطبيب أحيانا.

-الفرائون:

اشتُق اسم هذه الطائفة من كلمة فراء وهو اللباس الخاص بالمشايخ وكبار الشخصيات والعلماء وأصحاب السلطة العليا.

-القطايريون:

وهي الطائفة التي تهتم بتقطير ماء الورد في قسنطينة.

-الدهانون:

وهم فئة يندرجون ضمن طائفة النجارين.

-الزياتون:

بائعو الزيت والصانعوه.

-الشيادون:

وهم الباعة المتجولون.

بالإضافة إلى طائفة السرادنين والمتوسين والشكازون والسكاجون والقطاعون والملاحون والخفافجية والقشابون، والحزازون، الكمادون، السمادون، والشواشون.

3- البنية التنظيمية الحرفية

كان الحرفيون والصناع ينتظمون في شكل طوائف، وداخل كل طائفة هرم تنظيمي يبدأ في قاعدته بالمتعلم أو الصبي، لينتهي في القمة بمنصب الأمين ويتوسطها المعلم والعاملين والطائفة الحرفية تتكون في هيكلها العام من أمين الأمناء، والأمين، والخوجة والصايجي، أما الأمين فيندرج تحته مساعدوه وهم الكاهية والرفقاء الخاصين بطائفة البنائين، الشاوش، سوف نعرج عليها بالتفصيل.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

أ- البنية التنظيمية للطائفة:

-أمين الأمناء:

ظهرت هذه الوظيفة بادئ الأمر في القسم الخاص بالتنظيم الاقتصادي لمدينة الجزائر من خلال كتاب تاريخ باشاوات الجزائر لابن المفتي في حديثه عن هذه الوظيفة ومهامها في تنظيم الأسواق، حيث يقول: "**وعُهدت مراقبة الموازين والمكاييل والأسواق لأمين الأمناء ويترأس كل طائفة أمين يتصرف باسم الباشا، وتم تنظيم كل هذا باتفاق مشترك بين الأمناء وأعيان المدينة وأمين الأمناء**"،[7] ليتوسع مجال مهام أمين الأمناء كوظيفة حكومية لتشبه وظيفة المحتسب إلى حد ما ويضاف إليه مهام أخرى إضافة إلى سابقتها، فنجده بمثابة السلطة العليا على الجماعات الحرفية والجماعات الأخرى(البرانية)، حيث توكل إليه مهام أخرى تتمثل في: الإشراف على سجلات الحكومة وعلى النظام الضريبي الخاص بالجماعات الحرفية ونشاطهم الحرفي.[8]

- **الأمين:**

أطلقت على هذه الوظيفة العديد من التسميات كلفظ الشيخ وكبير الحرفة ورئيس الحرفة والنقيب في مدن المشرق الإسلامي كالقاهرة ودمشق وبغداد[9] واستعمل مصطلح الأمين في مدينتي الجزائر وقسنطينة قبل الفترة العثمانية، وهناك العديد من الإشارات للقب الأمين سواء في المصادر والمراجع أو في الوثائق الأرشيفية هذا ما تؤكده الرسالة التي بعث بها سكان مدينة الجزائر للسلطان سليم الأول نصها" ... رسالة القاضي والخطيب والأئمة والفقهاء والتجار والأمناء..."، والأمين يمثل السلطة العليا للحرفة ورمز وجودها[10] ويتم اختياره من قبل رفقائه، كما يجب أن يتحلى بالأمانة وبالصفات والأخلاق الحميدة، وأن يكون من كبار معلمي الحرفة وعلى دراية بأصولها، يتم تنصيبه بعد موافقة الباشا أو الداي بحضور القاضي فهذا التعيين يخوله لصلاحيات ومسؤوليات عديدة كالنظر في جميع المسائل والأمور المتعلقة بحرفة ما، كما تلزمه

[7] ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتنى بها الأستاذ/ فارس كعوان،ط1، بيت الحكمة ، الجزائر 2009، ص 82.

[8] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون (1700-1830م) مقاربة اجتماعية-اقتصادية، منشوراتANEP، الجزائر، 2012ص182.

[9] نفسه، ص 189.

[10] نفسه، ص 181.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

احترام التقاليد والعرف وتمنحه مكانة مميزة وجب احترامه سواء من قبل الناس أو من أعضاء الجماعة. وقد عرفت مدينة قسنطينة هذه الوظيفة في تنظيماتها الحرفية، حيث خضع تعيين الأمناء إلى سلطة الباي باعتباره أعلى سلطة إذ عين السيد أحمد باي علي بن الزمورلي أمينا على جماعة النجارين عام 1818م وهذا نصه:" الحمد الله أمرنا السعيد المبارك بحول الله وقوته الحميد بيد حامله السيد "علي بن الزمورلي" على أننا أنعمنا عليه وولياناه أمينا على جماعة النجارين..".[11] ومن بين الأمناء بمدينة قسنطينة الأمين "أبو عبد الله محمد المدجن النجار بن الأمين الحاج حسن قارة ماني التركي".[12]

- **الشاوش:**

الشاوش يقوم مقام الأمين وينوب عنه في حالة غيابه ويعتبر الشاوش الناطق الرسمي للجماعة وللأمين أيضا صلاحية اختيار مساعده، إما أن يكون من الجماعة نفسها أو من غيرها[13] ومن أمثلة الشاوش في مدينة قسنطينة (قاصد علي شاوش الانجشايري) الذي ذكر في دفتر أوقاف صالح باي.[14]

- **الكاهية:**

الكاهية هو بمثابة المساعد الأول لأمين البنائيين وينوب عنه في حالة غيابه وتختص هذه الوظيفة بطائفة البنائين دون غيرها نظرا لكثافة وأهمية نشاطها.

- **الرفقاء:**

لم نجد ذكر لهذه الوظيفة في المصادر والمراجع والوثائق الأرشيفية الخاصة بمدينة قسنطينة، غير أنها وجدت في مدينة الجزائر وبما أن مدينة قسنطينة كانت تابعة لها فطبيعي أن تخضع لنفس التنظيمات والوظائف، فقد شملت هذه التسمية –الرفقاء– جماعة البنائين كذلك، فبالإضافة إلى الكاهية توجد مجموعة أخرى مساعدة لأمين البنائين وهم الرفقاء، حيث يتراوح

[11] نفسه، ص 193.
[12] مخطوط دفتر الأحباس، ص40.
[13] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص208.
[14] دفتر أوقاف صالح باي، ص32.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

عددهم من ثلاثة إلى خمسة أعضاء وقد سميو بهذه التسمية نظرا لكونهم يرافقون أمين البنائين أثناء قيامه بمهامه المنوطة به.

- **الخوجة:**

كان بمثابة الكاتب بحيث أنه يقوم بتسجيل كل القضايا التي تتعلق بالجماعة، ولا يشترط فيه أن يكون من الجماعة نفسها، فأحيانا نجده من جماعة تكون في نفس الاختصاص أو أن نشاطهما يتماشى معا.[15]

- **الصايجي:**

يلعب الصايجي دور الموظف المالي كونه يشرف على الحسابات والمصاريف في الجماعة، وله مسؤولية صندوق الجماعة، إضافة إلى لقب الصايجي عرف كذلك باسم العداد.[16]

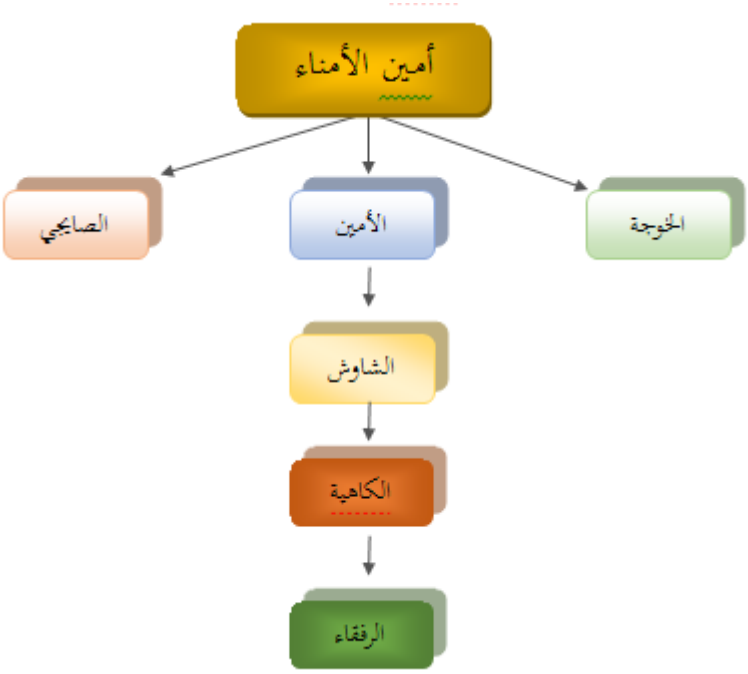

- (شكل 01) الهيكل التنظيمي داخل الطوائف الحرفية.

-

ب- بنية الحرفة:

[15] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص209.

[16] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 209.

❖ **المعلم والأسطى:**

أطلق هذان المصطلحان على مكتسب الحرفة والصنعة ورئيس الورشة، ولفظ المعلم كان متداولا من قبل السكان المحليين[17] ويقابله معنى التعليم أو الإشراف على الغير بقصد تلقين مبادئ العلم أو أصول الحرفة، أما الأسطى فاستعمل من قبل الأتراك والكراغلة والأندلسيين ويحتل المعلم أو الأسطى أعلى مكانة حرفية داخل الطائفة، وقد يكتسب هذه المكانة بفضل جهده وعرقه ومهارته اليدوية إضافة إلى خبرته الطويلة في العمل الذي يمارسه من أجل تعلم الحرفة وبلوغ العلم فيها،[18] وهناك إشارة للمعلم في مقدمة ابن خلدون حيث قال: "..وعلى قدر جودة التعليم وبراعة المعلم في الصناعة، وحذق وفطنة المتعلم، التي تعتبر من العوامل المهمة لحصوله على المهارة في الصناعة".[19]

على المعلم إذن أن يكون ملما بدقائق الحرفة، عارفا بأصولها وأسرارها، وفيما يخص انتخابه أو تعينه لهذه الرتبة وجدنا في المدن العربية الكبرى أنه يعين من قبل شيخ الحرفة أو شيخ الطائفة، أي من قبل الأمين.

وتكمن مهمة المعلم في تعليم عدد محدد من الصبية أصول حرفته وأسرارها، كما لا يجوز للصبي ترك معلمه إلا بإذنه الخاص، وإذا حدث خلاف ما ويكون سببه مادي حينها يتدخل الأمين ويلحقه بمعلم آخر، أما إذا كان الخلاف بسبب شجار فيتدخل الأمين مرة أخرى ليقوم بالصلح بينهم.[20]

الصانع:

يحتل الصانع مرتبة الوسط بين المعلم والصبي، وهو الذي يحسن الصنعة إلا أنه لم يكتسب مهارتها بعد،[21] كما لم تكن للصانع العادي مكانة مهمة في الطوائف الحرفية[22] لكن هذا لاينفي وجوده تماما فالصانع كان ينتقل إلى هذه المرتبة بعد فترة من التدريب يصبح بعدها أهلا للرقي إلى درجة الصانع وقد تعلم فنون الحرفة وأسرارها ومن ثم يبدأ في تنفيذ الأعمال الفنية

---

[17] نفسه، ص 203.

[18] محمد غنيم محمد عطية الصياد، الطائفة الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية 358هـ . 968م /567هـ . 1171م، اطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، 2006، ص 43.

[19] ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة، ج1، دار الفكر، بيروت لبنان، 2001، ص501.

[20] صلاح أحمد هريدي، الحرف والصناعات في عهد محمد علي، تقديم عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، الإسكندرية، 1985، ص 45.

[21] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 205.

[22] برنارد لويس، «النقابات الإسلامية»، مجلة الرسالة للآداب والعلوم والفنون، عدد8، السنة الثانية، 1940، ص787.

بإمرة وتوجهات معلمه[23] ويظل الصانع يخضع لهذه الأوامر والتوجيهات حتى يبلغ المهارة ويتمكن من الصنعة بشكل كلي كما جاء في الخطط التوفيقية "...**من أراد أن يصير معلما في صنعته لا يتمكن من ذلك إلا بعد مهارته فيها وعمل شيء دقيق في صنعته يشهد له بأن يستحق أن يكون معلما، ويضيف في كيفية تعينه إن وفق في بلوغه لهذه المرتبة** ..." فحين يشهد له معلمه وباقي المعلمين من صنعته يخبرون شيخ الطائفة –أمين الأمناء– ليختبره فإن وجده أهلا لها، أقيم احتفال تعينه يتم فيها دعوة شيخ الحرفة والرؤساء وغيرهم من باق الطوائف، وتتم عملية الشد[24] والحزام الذي هو عبارة عن شد يحزم به في وسطه ويعقده الأمين عدة عقد أقلها ثلاث وأقصاها ستة بالنسبة لعدد المعلمين الكبار الموجودين في المجلس مع شيخ الطائفة فالعقدة الأولى تسمى الأسطاوية يحلها معلمه الذي رباه وعلمه الصنعة والثانية تسمى الرتبة يحلها شيخ الطائفة والثالثة يحلها أحد الأسطاوات الموجودين بالمجلس وفي أثناء حل العقد يقرا النقيب بعض خطبا وقصائد.[25]

❖ **المتعلم:**

وهو المبتدئ في الصنعة ويأتي في قاعدة الهرم[26] وأطلق عليه لفظ الصبي والغلام في البلدان العربية كانت توكل إليه بعض الأعمال الهامشية في بادئ الأمر كفتح الحانوت والكنس وخدمة التاجر وشراء مستلزمات وحاجيات المعلم والعاملين معه مقابل أجرة رمزية، إلى أن ينتقل إلى مرحلة تعلم وكسب الصنعة بإشراف ومتابعة من معلمه.[27]

في هذه المرحلة يكون الصبي حينها قد فهم بعض من فنون وأسرار حرفته ليطلق عليه اسم الصانع – المبتدأ– ويتم ذلك بعد حفل تنصيب يقام على شرفه وهو يشبه حفل التنصيب إلى حد ما الذي ذكرناه أنفا، يحظره أمين الأمناء وكبار المعلمين، ويتم الاحتفال أولا بقراءة الفاتحة ثم يتقدم المتعلم مع معلمه نحو كبار الحرفة ليقوم أحدهم بطرح بعض الأسئلة ليختبر قدراته المهنية فإن نجح في الاختبار يقوم بشد وسطه بحزام مع عقد عدة عقد يقال أنها تكون بعدد المعلمين

[23] صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص45.

[24] لم يذكر في مصادرنا ما يوحى بممارسة مراسيم حفل الشد في مدينة قسنطينة وانما هي محاولة لإسقاط ما هو متداول في البلدان العربية خاصة اذا توافقت في نفس الفترات الزمنية وفي نفس العهد.

[25] علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج1، ط1، مطبعة بولاق مصر، 1306هـ ، ص 101.

[26] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 206.

[27] محمد غنيم محمد عطية الصياد، المرجع السابق، ص47.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

الجالسين، ثم يبدأ هؤلاء بفك تلك العقد وإملاء عليه واجباته الجديدة ويؤخذ منه عهدٌ على الاخلاص لحرفته والإتقان فيها.[28]

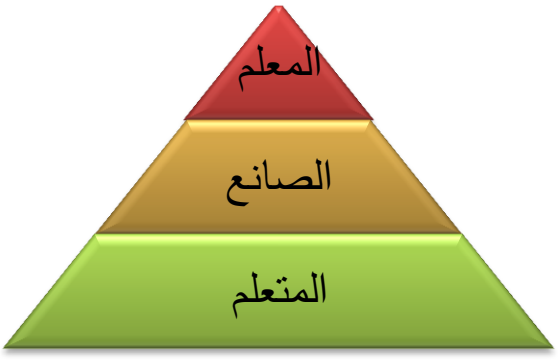

- **(شكل 02) السلم الهرمي داخل الحرفة.**

4-مزايا التنظيم الحرفي على الحرف والصناع:

كان لهذا التنظيم الحرفي داخل الطائفة العديد من الوظائف التي عادت على الحرفة والصانع بفوائد ومزايا عديدة نلخصها فيما يلي:

-هناك بعض الطوائف الحرفية ما ارتبط أصحابها بإحدى الطرق الدينية كالطرق الصوفية التي تحث أتباعها بامتهان الحرف والصنائع مما ينتجه عنه الإخلاص والتفاني في أعمالهم بكل أمانة.[29]

- ساهم هذا النظام في تقوية الروابط الاجتماعية والإنسانية فيما بين الطوائف الحرفية وزاد في تمسكهم وتعاونهم وتكتلهم مما ساد في أصحاب المهنة الواحدة روح الإخاء والتعاون.

- يسمح هذا التنظيم بمنع المنافسة غير الشريفة بين الأعضاء في الحرفة الواحدة.

- بما أن الحرفي يعتبر من أصحاب الطوائف كان في مأمن من تدخل السلطة في شؤونه إلا بشكل طفيف وهذا لما للطوائف من مكانة وحرية واِستقلالية.

- يتم مراقبة المشتغلين بالحرفة الواحدة من النواحي الفنية والاقتصادية.

- حماية المستهلك من الغش في الصناعة والرقابة على المنتجات والأسعار والأجور.

- فك النزعات والخلافات التي قد تحدث بين أصحاب الحرفة الواحدة بطريقة ودية.[30]

---

[28] نفسه، ص42.

[29] صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص46.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

5-السلطة والتنظيمات الحرفية:

تتمثل علاقة السلطة بالتنظيمات الحرفية في عدة أشكال، كتوظيف المحتسب الذي يسهر على تنظيمها وتولي شؤونها، الزام دفع الضرائب على الطوائف الحرفية، وتكون موجهة للحرفيين والصناع، اضافة إلى ذلك السلطة العثمانية تحرص على توفير الأمن في الأسواق والورشات الحرفية من خلال نظام العسة الليلية حفاظا على ممتلكات الحرفيين والصناع.

1.5-الحسبة على الحرف والصنائع وطرق كشف الغش فيها:

إن الدور المهم الذي يلعبه المحتسب في مراقبة قضايا الناس وأحوالهم ومنشئاتهم وأسواقهم، تقتضي تجوله وقربه من ساحة الأحداث لممارسة مهامه على أكمل وجه، ومما ينتج عنه مخالطة الناس والصناع وأصحاب الحرف مما يساعده على كشف حيلهم ومغالطاتهم.

فينبغي على المحتسب أن يكون ملازما للأسواق ولا يهملها، فيتجول في السوق وعند الباعة ويكشف الدكاكين والطرقات، ويتفقد الموازين والمكاييل ويتفقد معيشتهم وأطعمتهم وما يغُشُونه، ويفعل ذلك في النهار وأثناء الليل إذا اقتضى منه ذلك وفي أوقات مختلفة وذلك على غفلة منهم. وبما أن المحتسب لا يمكنه الإلمام بجميع أفعال السوقة والباعة بمفرده، يجعل لأهل كل صنعة عريفا من أهلها، خبيرا بصناعتهم، بصيرا بغشهم وتدليسهم، مشهورا بالثقة والأمانة، يكون مشرفا على أحوالهم، ويطلع المحتسب بأخبارهم وما يجلب إلى أسواقهم من السلع والبضائع، وما يستقر عليه من الأسعار وغير ذلك من الأسباب التي ينبغي للمحتسب معرفتها والإحاطة بها،[31] والمحتسب بطبيعة الحال كان على علم بجميع هذه الطرق والحيل الخاصة بالتدليس والغش الخفي وإظهار العيب وإخفائه، والزيادة والنقصان في الثمن والمثمون التي يلجأ إليها البعض من أصحاب الحرف والصناعات، فكل هذا غش وتطفيف وجب على المحتسب منعه وإبطاله ومعاقبة كل من يعمل به.

2.5-النظام الضريبي على الطوائف الحرفية:

يعد النظام الضريبي كنوع من العلاقات أو المعاملات السياسية التي كانت تربط الطوائف الحرفية بالسلطة الحاكمة، فالسلطة العثمانية فرضت على السكان نظام ضريبي محكم بحيث جعلته كأحد الركائز المهمة لبناء الدولة، ومهما كان نوع وقيمة الضرائب التي تُجْبى، فإنها تصب في خزينة البايات الذين بدورهم يسلمونها لخزينة الدولة، وهو ما اصطلح عليه بلفظ الدنوش.

[30]محمد غنيم محمد عطية الصياد، المرجع السابق، ص51.

[31]ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معلم القربة في أحكام الحسبة، تصحيح روبن ليوى، مطبعة بكيمبرج، 1937، ص219.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

والدنوش منها الصغيرة والكبيرة فالأولى كان يقوم بها خلفاء البايات مرتين في السنة، أما الثانية فكان يقوم بها البايات مرة كل ثلاث سنوات ساهمت هذه الدنوش أو الضرائب بتدعيم الجيش وتجنيده وتسليحه مما يضمن الاستقرار العام للبلاد والازدهار الاقتصادي ورقي الصناعات والنشاطات الحرفية التي تعود بالفائدة على السكان خاصة وعلى الدولة بشكل عام.

فالدولة العثمانية قد فرضت نظاماً ضريبياً، مبنياً على أسس وقوانين ومقايس موضوعية مراعية في نفس الوقت عدة جوانب منها تضاريسية بمعنى خصوبة الأرض من عدمها ومناخية أي حسب المرود والمحصول الزراعي، ثم وضع البلاد الاقتصادي الاجتماعي وطبقا لهذه الاعتبارات اختلفت أنواع الضرائب المستحقة من منطقة إلى أخرى ومن إقليم لأخر، اختلفت أيضا باختلاف طبيعة النشاط الاقتصادي الممارس.[32]

فرضت الضرائب بمدينة قسنطينة شأنها شأن المدن الأخرى بإيالة الجزائر، منها الجزية التي فرضت على اليهود خاصة، والتي قدرت ما بين 25000و50000 فرنك، تدفع كل يوم خميس بمعدل قرش واحد لكل فرد من الطائفة اليهودية، بالإضافة إلى تقديم المواد الغذائية المتمثلة في السكر والقهوة واللحم والزيتون، التي كانت تخصص لتمويل فرسان المحلة وبالمقابل التمتع بحق ممارسة طقوسهم الدينية وبحماية الدولة، وهناك ضرائب أخرى فرضت على رسوم الأبواب والأسواق التي يستخلصها قائد الباب وقائد السوق،[33] وكان شيخ البلد يحدد الرسوم المفروضة على الدكاكين مقابل ممارسة النشاط التجاري وقد قُدرت بـ30 سنتيم للشهر على كل محل تجاري بالإضافة إلى رسوم النقابات المهنية حيث عرفت جبايتها باسم الضراب، تحت وصاية وإشراف الأمين وبمساعدة شيخ البلد بحيث يقوم بجمع المستحقات من أعضاء النقابة الحرفية مهما كان نشاطها تراوحت قيمتها بين نصف بوجو **1/2** وبوجو واحد شهريا على كل دكان أو محل أو ورشة صناعية، ونأخذ مثالا على ذلك أمين النساجين كان يدفع 50 بوجو سنويا نفس الأمر بالنسبة لأمين الرحا والنساجين والعطارين والحدادين والبرادعيين ليقوم الأمين بتقديم حساباته لقائد الدار الذي يودع ما يتحصل عليه في الخزينة إضافة إلى رسوم الحرف فإن الأمناء يأخذون لأنفسهم امتيازات ورسوما خاصة بهم من أصحاب الدكاكين.[34]

---

[32]ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية(1800/1830م)، الجزائر، 1979،ص96.

[33]فلة قشاعي موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، 1771-1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990م، ص 74.

[34]ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري(بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)، دار البصائر، 2014، ص228.

ISSN: 1111-7699
DOI:.16/IJO.01 /2018

هذا بالإضافة إلى الضرائب الجبائية المستحقة، فرضت على الجماعات الحرفية الخاصة بالصناعات الإنتاجية إسهامات إجبارية مجانية لخدمة البايلك، كجماعة البشماطية الخاصة بتحضير الخبز الموجه لاستهلاك الجيش المرابط بالحاميات، وتقوم جماعة الدباغين بتوفير القرب والأكياس الجلدية لدار الباي ولحامية قسنطينة، وتزود أيضا الباش خزناجي والباش سراج بالجلود الضرورية لصنع سروج البايلك[35] أما طائفة الحدادين فهم ملزمون بتوفير ما يحتاجه البايلك من أمور الحدادة. أما صناع الجلود فكانوا ملزمين بدفع 1000بوجو سنويا بالإضافة إلى منح كمية أخرى من الجلود بقيمة 1000بوجو تكون ضرورية وخاصة بمتطلبات قصر الباي، علاوة على ذلك كانوا ملزمون بتزويد محلة الجيش بالجلود اللازمة لعتادهم من سروج وخيم وبرادع وغيرها تقدر بـ1000بوجو، يستثنى من هذه الرسوم الجبائية القصابون المسلمون فهم غير ملزمون بدفع أي ضريبة للدولة لكنهم ملزمون بالتنازل عن 0.15 من ثمن الجلد كل ستة أشهر.[36]

3.5.نظام العسة (حراسة السوق):

كانت حراسة الأسواق تخضع لنظام إداري محكم يتولى أمره مجموعة من الأشخاص فعلاوة على رتبة أمين السوق أو قائد السوق ورفقائه حيث تكمن مهمتهم بمراقبة الحرفيين والصناع ومراقبة التجار والمعاملات والمبادلات التجارية يسهرون كذلك على فك الخلافات والنزاعات التي قد تحدث بينهم، نجد قائد الباب وهو المسؤول عن السلع التي تدخل إلى أسواق المدينة للتجارة كما يقوم باستخلاص الضرائب اللازمة من أصحابها والمكوس المطلوبة، إلى جانب هؤلاء نجد المزوار وهو المسؤول عن شرطة اليل[37]فقد أولت السلطة في العهد العثماني عناية بالغة بالطوائف الحرفية وبتنظيم وحراسة الأسواق ونجد أن مدينة قسنطينة قد سارت وفق هذا النظام حيث كُلفت مهمة العسة لطائفة البساكرة خاصة[38]ومن يتولى هذا المنصب يعرف بأمين العسة تقوم الطائفة الحرفية بتعينه بموافقة شيخ المدينة الذي يحدد بدوره أجر العسة وينظم لهم العمل وكانت الطائفة الحرفية تساهم بدفع أجر العسة وتساهم أيضا بالرجال الذين يقومون بالعسة[39] ليبقى الحارس هو

[35]عائشة غطاس، المرجع السابق، ص242.

[36]ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري(بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)...المرجع السابق، ص231.

[37]ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم، مراجعة وتقديم وتحقيق يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007، ص23 .

[38] Raymond(A), La ville arabe, Alep, à l'époque ottomane (XVI^{e}-XVIII^{e} siècles), Damas, 1998, pp229-268.

[39] Ibid. p216 .

المسؤول في حالة سرقة وتسديد قيمة البضائع كان الحارس يسهر على الأمن العام وعلى انتظام المبادلات التجارية ويقوم مقام الوسيط بين السلطات وأهل السوق.

خاتمة

إن اتساع وتعدد مجال الحرف والمهن والصنائع، قد أنتج نظاما حرفيا محكما لأصحاب المهن الواحدة، وقد تجسد هذا النظام في تكتلات عرفت باسم الطوائف الحرفية أو الجماعة كما هو الحال بمدن الجزائر، يقوم الأمين أو كبير الحرفيين بالإشراف عليها، يسهر على شؤون و حفظ حقوق الحرفيين والصناع وتوطيد علاقتهم واتصالهم الدائم بالسلطة.

فمن خلال دراستنا هذه تبين أن مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني وحتى بداية الاحتلال الفرنسي لها، كانت تشمل ما يفوق (70)طائفة حرفية منها جماعة الحدادين والنجارين والبنائين الخرازين والصاغة وفي شتى المجالات الصناعية.

قائمة المصادر والمراجع:

-المصادر باللغة العربية

1.دفتر أوقاف صالح باي. (مخطوط)

2.ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معلم القربة في أحكام الحسبة، تصحيح روبن ليوى، مطبعة بكيمبرج، 1937.

3.ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم، مراجعة وتقديم وتحقيق يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007.

4. ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة، ج1، دار الفكر، بيروت لبنان، 2001.

المراجع باللغة العربية: -

1. صلاح أحمد هريدي، الحرف والصناعات في عهد محمد علي، تقديم عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، الإسكندرية، 1985.

2.فارس كعوان، تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، ط1، الجزائر العلمة، 2009

3. عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، (1700–1830م) مقاربة اجتماعية–اقتصادية، منشوراتANEP، الجزائر، 2012.

4. عبد القادر دحدوح، مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة ق 10هـ – 11هـ/16م–17م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،2015.

5. علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج1، ط1، مطبعة بولاق مصر، 1306هـ.

6.نصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري(بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)، دار البصائر، 2014.

7.ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية(1800/1830م)، الجزائر، 1979 .

–المجلات:

1. برنارد لويس، النقابات الإسلامية، مجلة الرسالة للآداب والعلوم والفنون، عدد8، السنة الثانية، 1940، ص732–788.

2. عبد العزيز الدوري، "نشوء الأصناف والحرف في الاسلام"، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد01، 1959، ص133.148.

–الرسائل الجامعية:

1.فلة قشاعي موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، 1771–1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989–1990م.

2.محمد غنيم محمد عطية الصياد، الطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية، (358هـ–968م /567 هـ–1171 م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة الزقازيق، 2006.

–المراجع باللغة الأجنبية:

1. Feraud.(SH), «Les Corporations de métiers à Constantine avant la conquête française traduction d' un manuscrit Arabe», Revue Africaine, N16, 1872. p451-454.

2.Lecuyer (E), Les Métiers Constantinois à l'époque des Beys, 1950.

3.Raymond (A), La ville arabe, Alep, à l'époque ottomane (XVI^{e}-XVIII^{e} siècles), Damas. 1998.